مجلة دراسات بيت المقدس، 2017، 17(2): 59– 87

النشاط التعليمي لمدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية بلواء بيت المقدس من خلال سالنامة نظارة المعارف العثمانية سنة 1317هـ/1899م

حفيظة بن دحمان*

ملخص: يركز البحث على موضوع التعليم كأحد الأدوات التي استعملها الأجانب ورعايا الدولة العثمانية من الطوائف المسيحية واليهودية للتغلغل داخل المجتمع المسلم في بيت المقدس، والنفوذ إلى مفاصل الدولة والتحكّم فيها. ويسعى البحث للكشف عن جهود الدول الغربية للتغلغل في مدينة بيت المقدس وتكوين نفوذ دائم فيها عن طريق نشر المدارس بمختلف مستوياتها: ابتدائية، رشدية، إعدادية وعالية. ولأجل الوصول إلى النتائج تم الاعتماد على إحصائيات سالنامة نظارة المعارف العثمانية (سنة 1899م) حول أعداد المدارس الأجنبية وطلاّبها، والمقارنة بينها وبين عدد السكّان الأجانب الإجمالي، وأعداد المدارس العثمانية وعدد طلابها، من أجل تحديد مدى هيمنة الأجانب على التعليم ببيت المقدس.

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، سالنامة، تعليم، المدارس الأجنبية، المدارس غير المسلمة، بيت المقدس.

The Educational Activities of non-Muslim minority schools and foreign schools in the District of Jerusalem as recorded in the yearbook (Salname) of the Ottoman ministry of education in 1317AH/1899CE

ABSTRACT: *The study focuses on education as one of the means used by foreigners and Jewish and Christian minorities in the Ottoman state to penetrate the Muslim society in Islamicjerusalem in order to influence and dominate the state institutions. This study seeks to reveal western efforts to penetrate the city of Jerusalem and establish a permanent influence through expanding the educational institutions at various levels: Primary, middle, junior high schools (Rüştiye) and high schools. The Salname (yearbook) statistics of the Ottoman ministry of education in 1899 has been consulted to obtain the numbers of foreign schools and students. As well as comparing it with the total numbers of foreign population in addition to the numbers of Ottoman schools and their students. These results determined the extent of foreign dominance on the educational system in Islamicjerusalem (Bayt al-Maqdis).*

KEYWORDS: *The Ottoman State, Salname (yearbook), Education, foreign schools, non-Muslim schools (Minority schools), Jerusalem.*

* أستاذة بجامعة عبد الحميد مهري، قسطنطينة 2 (الجزائر)، hafida_78@yahoo.fr.

مقدّمة

يُعتبر التّعليم في القرن التاسع عشر الميلادي، أحد الأنشطة البارزة للطوائف غير المسلمة والدول الأوروبية في أراضي الدولة العثمانية، سواء من حيث التطور المطرد لعدد المدارس، أو من حيث أعداد التلاميذ المتضاعف باستمرار. وكانت "بيت القدس" من أكثر المدن العربية التي استأثرت بأكبر عدد من المدارس الأجنبية، سواء التابعة للدول مباشرة، أو التي كانت ترعاها جمعيات ومؤسسات دينية وثقافية خاصة. ومن هذا المنطلق، يسعى البحث للكشف عن جهود الدول الغربية لإيجاد موطئ قدم لها بالمدينة المقدّسة "بيت المقدس" خلال القرن التاسع عشر الميلادي، والسّعي لتكوين نفوذ دائم فيها عن طريق التعليم ونشر المدارس.

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تؤرخ للتعليم عند الأقليات المسيحية واليهودية والأجانب في لواء بيت المقدس في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وتعتمد في إعدادها أساسا على **سالنامة نظارة المعارف العثمانية** لسنة 1317هـ (1899م)[1]. حيث تمّ استقاء المعلومات من السالنامة حول أسماء المدارس وأعدادها وأعداد طلابها ومواقع انتشارها والطوائف أو الدول الأجنبية التي تتبعها، ثم صب المعلومات في جداول وتحويلها إلى رسوم بيانية والتعليق عليها والمقارنة بينها واستخلاص الملاحظات والاستنتاجات منها.

بُنيت الدراسة على الإشكال التالي: إلى أيّ حدّ استغلّ الأوروبيون النشاطات التعليمية لبسط نفوذ بلدانهم حول "الأماكن المقدسة" وإخراجها من الحكم الإسلامي العثماني؟ وبعبارة أخرى: هل نحن أمام خطّة مبكّرة لفرض نفوذ مسيحي يهودي على بيت المقدس وجعله مركز الانطلاق للتحكم في منطقة "الشرق الأوسط"؟ ويقودنا هذا الإشكال لطرح بعض التساؤلات عن مدى إمكانية الاستدلال على وجود تنافس أوروبي على بيت المقدس من خلال إحصائيات المدارس وأعداد التلاميذ وتوزيعها الجغرافي؟ وهل هناك طائفة ما طغت نشاطاتها التعليمية على بقية الطوائف؟ أم أن جميع الطوائف تميزت بالحظوظ نفسها في نشر المدارس والتعليم؟ وهل يمكن استقراء نوايا ما وأهدافا خفيّة ضدّ الدولة العثمانية والمجتمع المسلم من خلال استعراض تعداد المدارس الملية والأجنبية في بيت المقدس، والمقارنة بينها؟

تقودنا جميع هذه التّساؤلات للبحث في النشاطات التعليمية للدول الغربية والأقليات غير المسلمة من أجل الاستدلال بها على وسائل غرس النّفوذ وتوسيعه في منطقة بيت المقدس من جهة، واستخدامه لإضعاف الحكم العثماني في إطار ما اصطلح على تسميته بـ "المسألة الشرقية" من جهة ثانية، ولعلّ ذلك مما يساعد على تفسير "الحملة الصليبية الخفية" ضدّ الوجود الإسلامي في مهد الديانات الثلاث. وقبل ذلك يكون لزاما على البحث أن يتوقف عند بعض المحطات المهمة من قبيل تفكيك بعض المصطلحات،

وتحديد المجال الجغرافي، والتعريج على الظروف التي ظهرت فيها مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية في بيت المقدس، وتلك هي الخطة التي سار وفقها البحث.

تحديد المصطلحات والمجال الجغرافي للدراسة

تم اختيار "مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية" عن قصد في هذا البحث، وهو ما سيظهر في ثنايا العرض لاحقا، ويجدر بنا قبل ذلك تفكيك هذا المصطلح ووضعه في سياقه التاريخي الذي ظهر فيه، فمدارس الطوائف والمدارس الأجنبية لم ترد بهذا اللفظ في الدستور العثماني، حيث جاء ذكرها تحت تسمية واحدة هي المدارس الخاصة أو "مكاتب خصوصية"[2]، وتمّ تعريفها بأنها المدارس التي تتأسس من طرف جمعيات أو من جانب أفراد وبعض أشخاص، سواء كانوا من تبعة الدولة العثمانية، أو من التبعة الأجنبية، بأجرة أو بلا أجرة[3]. ويبدو من هذا التعريف أن القانون لم يفرّق بين مؤسس مدرسة خاصة من رعايا الدولة العثمانية أو أجنبي، وإنما جاءت تسميتها بـ "خاصة" ليتم تمييزها عن المدارس الرسمية التي كانت تديرها الدولة.

وورد في قانون المعارف تعريف المكاتب الخاصة بنوع من التفصيل، حيث أشار إلى وجود قسمين منها: مكاتب خصوصية مسلمة، ومكاتب غير مسلمة[4]، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى قسمين: المدارس المليّة (الدينية والمذهبية) التي تؤسسها الطوائف الدينية، والمدارس الخاصة التي يؤسسها أشخاص[5]. وفي الجداول الإحصائية المخصصة لجميع المدارس على مستوى الدولة العثمانية ورد تقسيم المدارس غير الرسمية إلى: مدارس إسلامية، مدارس غير إسلامية ومدارس أجنبية[6].

إذن نحن أمام نوعين من المدارس الخاصة: مدارس أنشأها رعايا الدولة العثمانية سواء كانوا مسلمين أو من أتباع الطوائف الدينية (المسيحية واليهودية)، وهي ما اصطلحنا على تسميتها بمدارس الطوائف غير المسلمة، ومدارس أجنبية تابعة لمختلف الدول، أقامتها الإرساليات الدينية في مختلف الولايات العثمانية. وتشترك هذه المدارس في خضوعها لوزارة المعارف ومعاملتها بالشروط نفسها من طرف الإدارة العثمانية، بل هناك من المدارس المليّة ما اعتبرتها الدولة "أجنبية" مثل المدارس التي أنشأتها "جمعية الأليانس الإسرائيلية"[7]، حيث صنفتها سالنامة المعارف ضمن المدارس غير الإسلامية في الولايات العربية التي تواجدت فيها مثل بغداد والشام، ما عدا في بيت المقدس فقد صنفتها ضمن المدارس الأجنبية[8].

ويذكر بيات أن مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية جاء ذكرها متداخلا في الوثائق العثمانية، وأرجع السبب إلى أن *"الطوائف الأجنبية أسست المؤسسات التعليمية لأتباعها من المذاهب الدينية"*، وضرب مثلا بأن مدارس اللاتين التي أسّسها الفرنسيون تعتبر "أجنبية" بحكم أن مؤسسيها أجانب، في حين توجد مدارس أسسها رعايا الدولة العثمانية من اللاتين تعتبر ضمن مدارس الطوائف

غير الإسلامية، غير أن الوثائق لم تفرّق هذه المدارس بين كونها أجنبية أو مليّة، بل اعتبرتها جميعها "مدارس اللاتين"[9]... وهكذا الأمر بالنسبة لبقية الطوائف.

ولعلّ وضع هذه المدارس جميعها في بوتقة واحدة يعطينا انطباعا بالدور المشترك الذي أسهمت به هذه المدارس في رسم المشهد الثقافي والسياسي في بيت المقدس، ذلك أن الامتيازات الممنوحة للأجانب أو لطوائفهم في الدولة العثمانية كانت تصبّ جميعها في مصلحة الدول الأجنبية، ولا يُعتقد أن مدرسة تؤسسها طائفة من الأقليات المسيحية أو اليهودية في أرض الدولة العثمانية، ستعارض سياسة الدولة الأجنبية التي ترعى وتحمي هذه الطائفة سياسيا واقتصاديا! ومن هذا الباب تم الجمع بين مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية في هذا البحث، ولعلّ هذا الرّبط يساعد على تحديد مدى استخدام الدول الأجنبية لطوائفها الدينية في الدولة العثمانية من أجل إضعاف هذه الأخيرة وتسهيل التغلغل الأوروبي فيها، مثلما سنتعرض له لاحقا.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالتوقف عندها، هي المجال الجغرافي والإداري للواء بيت المقدس، فالمعروف أن منطقة بيت المقدس مرّت بعدّة تحولات إدارية، فمن انقسامها إلى عدة سناجق وضمّ أجزاء منها لولاية سوريا ثمّ ولاية بيروت بعد استحداث هذه الأخيرة[10]، إلى توحيدها في لواء واحد تحت وصاية حاكم عكا عشية الزحف المصري على بلاد الشام من أجل مواجهة أطماع محمد عليّ، إلى وضع سنجق بيت المقدس تحت حكم الباب العالي مباشرة (سنتي 1841 و1854)، ثمّ التفكير في مشروع جعل "بيت المقدس" ولاية قائمة بذاتها بتوحيد السناجق الثلاثة (بيت المقدس ونابلس وعكا)، لكن السلطان عاد وألغى ذلك حتى لا يسهّل الطريق أمام التغلغل الأوروبي؛ وبعدها تمّ إلحاق سنجق بيت المقدس مباشرة باسطنبول منذ سنة 1874م (باستثناء الفترة 1880– 1887م أُلحق بولاية سوريا)[11]. ولم يكن هذا القرار اعتباطيا، بل أملته ظروف التنافس الدولي الشديد على الأماكن المقدّسة، والتدخّل الأجنبي السافر في بيت المقدس، والتخوّف من الاستحواذ عليها وفصلها عن جسم الدولة العثمانية.

إذن الحيّز الجغرافي الذي نحن بصدد التطرّق للمدارس المنتشرة فيه هو "لواء بيت المقدس" أو كما يسمى في الوثائق "قدس شريف سنجاغي" (سنجق القدس الشريف) ويأتي أيضا تحت اسم "لواء القدس" الذي ينقسم إلى أقضية وقصبات وقرى. والأقضية المذكورة في سالنامة نظارة المعارف أربعة وهي: بيت المقدس، خليل الرحمن، غزة ويافا، أي ما يشكّل جنوبي فلسطين حاليا (انظر الخريطة).

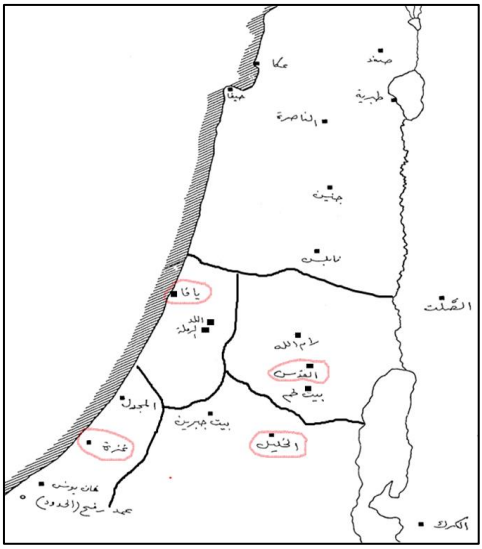

الخريطة رقم 1: أقضية لواء بيت المقدس في القرن التاسع عشر

ظروف ظهور مدارس الأقليات والمدارس الأجنبية في بيت المقدس

ارتبطت المصالح الأوروبية في بيت المقدس بحادثتين تاريخيتين مهمتين هما: حملة محمّد عليّ على بلاد الشام 1831م، وحرب القرم بين العثمانيين والروس (1853– 1856م). وبين الحدث الأول والثاني، يكاد يكون هناك اتفاق بين المؤرخين أن حملة محمد عليّ على الشام وأطماعه التوسعية فيها قد أسست لعهد جديد من التغلغل الأوروبي في المنطقة، ذلك أنّ محمد علي بعد استيلائه على بلاد الشام، عمل على التودّد إلى الغرب بإلغاء التمييز الرسمي ضدّ الرعايا من الطوائف غير المسلمة، وساوى بينهم وبين الرعايا المسلمين، بل أحيانا فضّلهم عليهم. كما فتح الباب للتغلغل السياسي والثقافي الأوروبي في بلاد الشام بما فيها منطقة بيت المقدس[12]، وسمح لهم بتوسيع نشاطاتهم الدينية والتبشيرية التي أخذت تنمو وتتوسع بإنشاء المدارس والمستشفيات والقيام بالأعمال الخيرية.

والشيء الملاحظ أنّ بيت المقدس أصبح محلّ استقطاب لأطماع مختلف الدول الأوروبية، مما جعل هذه الأخيرة تتنافس فيما بينها من أجل إيجاد موطئ قدم لها في "الأرض المقدسة"، وكان أهم حدث في هذا المجال حلول قنصل بريطانيا في مدينة بيت المقدس سنة 1838م بناءً على الامتياز الذي منحه محمد عليّ، ثمّ توالى دخول المزيد من القناصل الأوربيين في أربعينيات القرن التاسع عشر، مما جعل بيت المقدس تقع في دوامة تضارب المصالح بين الدول الأوربية الكبرى في إطار ما يسمى "المسألة الشرقية" للقرن التاسع عشر. كانت الفكرة حينها هي المحافظة على النواة الأساسية للدولة العثمانية بما يكفل المصالح

الأوروبية، وكانت بيت المقدس ضمن هذه النواة الأساسية، لذلك سعت الدول الأوروبية إلى بسط نفوذها عليها، ووجدت أنّ أسهل باب للتغلغل هو "حماية" الأقليات غير المسلمة وإنشاء "محمية دينية" في الأرض المقدسة[13].

وقد برزت المصالح الأوروبية جليا للعيان خاصة بعد حرب القرم (1853– 1856م) التي نشبت بين الروس والعثمانيين بسبب طلب روسيا تسوية مسألة الأماكن المقدسة لصالحها، وتوقيع معاهدة مع الدولة العثمانية تضع بموجبها الكنيسة الأرثوذكسية رسميا تحت حماية الإمبراطورية الروسية، وعندما رفضت الدولة العثمانية ذلك تعرضت للهجوم الروسي؛ وأيقنت فرنسا وبريطانيا خطورة ذلك على مصالحهما، فوقفتا مع الدولة العثمانية ضدّ المطامع الروسية، وكان المقابل تعهّد حكومة اسطنبول بتحقيق إصلاحات تكفل المساواة لصالح رعاياها غير المسلمين[14]. وبعد جلاء الخطر الروسي من المياه الدافئة، أعلنت الدولة العثمانية سنة 1856 "فرمان الإصلاحات" الذي جاء ليعزز خطّ گولخانة السابق (1839)، وبموجب الفرمان حصلت الأقليات غير المسلمة في الدولة العثمانية على حقوق إضافية، وأصبح لها الحق في إقامة المؤسسات التعليمية بشرط أن تخضع مناهجها الدراسية واختيار معلميها وأعضائها لهيئات المراقبة والتفتيش من طرف الدولة، بالإضافة إلى شروط أخرى مثل الحصول على ترخيص رسمي من الدولة، وأن يكون المعلمون في هذه المدارس لديهم شهادات مصدّقة من طرف وزارة المعارف، وكتب التدريس أيضا يجب أن تكون مصدّقة[15].

وكانت الفرمانات التي صدرت حول التعليم قد مهّدت السبيل لإعادة تنظيم التعليم العام من جديد، غير أن المثير للملاحظة في هذه الفرمانات أنها لم ترصد أيّ هدف خاص بالتعليم في المجتمع العثماني المسلم[16]، وذلك –على ما يبدو– فتح المجال لوضع أهداف دخيلة مغرضة حسب ما يخدم المصالح الخاصة لخصوم العثمانيين. وفي سنة 1886م أُسِّست مفتشيّة مدارس الطوائف غير المسلمة والأجنبية، وأُسندت إدارتها إلى أحد الرعايا من الرّوم، وكانت مهمتها النّظر في مدى التزام هذه المدارس بالقوانين السارية، والوقوف على عدم إضرارها بسياسة الدّولة وأمنها. وأتبعتها الدّولة بإصدار تعليمات سنة 1896م تُلزم أصحاب المدارس الخاصة بالحصول على تراخيص رسمية، واستخدام مديرين ومعلّمين ذوي شهادات مصدّقة من طرف الدولة، وعدم استخدام مطبوعات ممنوعة[17].

ورغم ما يبدو على هذه الإجراءات من التشديد والتضييق على أصحاب المدارس الخاصة، فإنّ سياسة الدّولة عموما اتّسمت بالتسامح مع رعاياها غير المسلمين، ومنحت لهم مطلق الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وتعليم أبنائهم باللغة التي يختارونها، وسيظهر هذا التسامح في عدد مدارس الطوائف غير المسلمة والأجنبية المؤسّسة في لواء بيت المقدس وحده.

مدارس الطوائف غير المسلمة في بيت المقدس

برز التنافس بين الطوائف الدينية غير المسلمة على بيت المقدس في تنوع المدارس وتعددها وتوزعها في مختلف أنحاء اللواء. وبالاطلاع على سالنامة نظارة المعارف العثمانية لسنة 1317هـ يمكن التعرف على أسماء هذه المدارس وأعدادها والطوائف التي تتبعها وتواريخ إنشائها وأعداد تلامذتها[18]، والجدول أدناه يوضّح ذلك[19].

		الروم	اللاتين	الأرمن	اليهود	المجموع
عدد المدارس		20	12	06	39	77
عدد التلاميذ	ذكور	1087	157	109	1175	2528
	إناث	445	196	75	349	1065
مجموع عدد التلاميذ		1532	353	184	1524	3593

الجدول 1: أعداد المدارس والتلاميذ عند الطوائف غير المسلمة في بيت المقدس (1317هـ).

ويبدو من هذا الجدول أن اليهود انفردوا بأكثر من نصف عدد مدارس الطوائف غير المسلمة في لواء بيت المقدس[20]، بينما تقاسمت الطوائف الأخرى النصف الآخر، واستحوذت طائفة الروم وحدها على أكثر من ربع عدد المدارس مثلما يبيّنه الرّسم التالي.

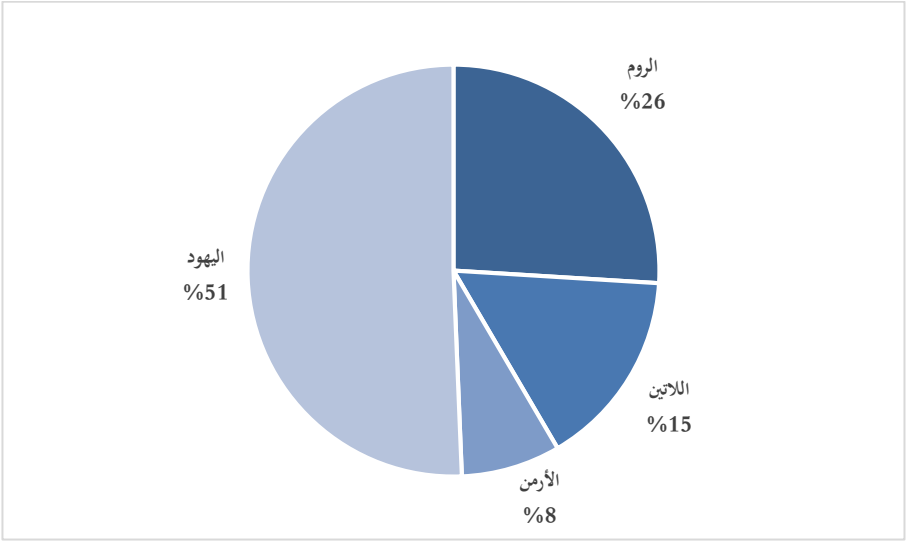

الشكل 1: عدد المدارس لدى الطوائف غير المسلمة في بيت المقدس (1317هـ–1899م)

وانفرد اليهود أيضا بارتفاع عدد التلاميذ الذكور، بينما تفوّقت طائفة الروم بعدد التلميذات، وتقارب مجموع عدد التلاميذ لدى طائفتي الروم واليهود، رغم تفوّق اليهود على الروم من حيث عدد المدارس، مما يطرح التساؤل عن سبب إكثار اليهود من افتتاح المدارس إذا كان عدد أقلّ من ذلك يمكنه أن يستوعب أعداد تلاميذهم؟! ويمكننا أن نجد الإجابة لاحقا في التوزيع الجغرافي لهذه المدارس. ويُلاحظ أنّ عدد التلاميذ يقلّ كثيرا لدى اللاتين ثمّ الأرمن على التوالي، مثلما يوضّحه الرسم التالي.

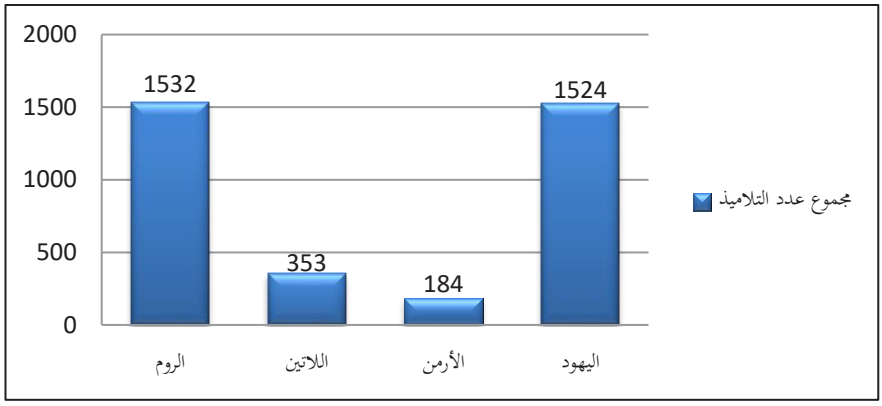

الشكل 2: عدد التلاميذ في مدارس الطوائف غير المسلمة ببيت المقدس (1317هـ – 1899م)

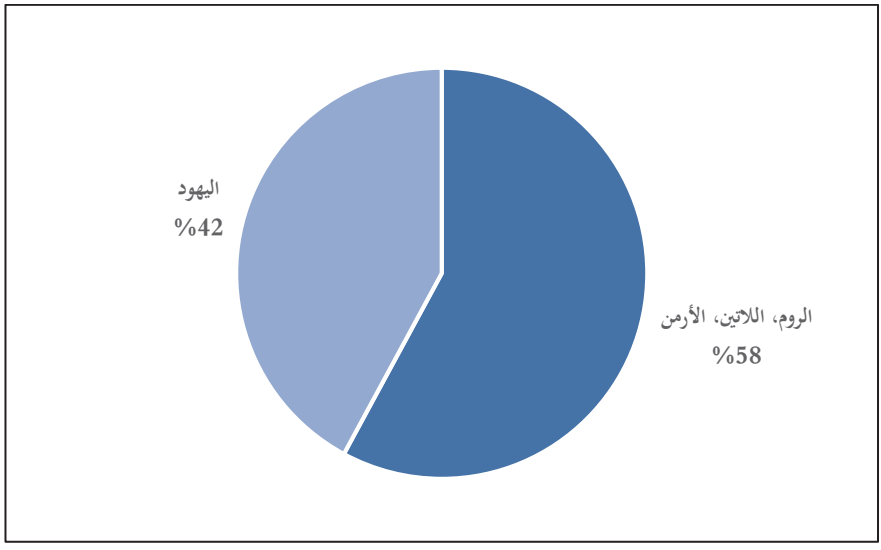

الشكل 3: نسبة التلاميذ في مدارس الطوائف غير المسلمة ببيت المقدس (1317هـ – 1899م)

وهناك ملاحظة جديرة بالانتباه، وهي أن مجموع عدد التلاميذ لدى الطوائف الثلاث مجتمعة (الروم، اللاتين، الأرمن) بلغ 2096 تلميذ، أي ما يعادل 58% من المجموع الكلي، في مقابل 1524 تلميذ في المدارس اليهودية، أي ما يعادل 42% من المجموع الكلّي مثلما هو موضّح في الرسم أعلاه؛ مما يعني أن عدد تلاميذ طائفة اليهود التي لا تتجاوز 4% من سكان اللواء، تقارب عدد تلاميذ الطوائف المسيحية مجتمعة التي تبلغ 11% من سكان اللواء! ومن إحصائيات السالنامة أيضا[21] يبدو أن معظم مدارس الطوائف غير المسلمة هي مدارس ابتدائية (أكثر من 94%)، حيث نجد من بين 77 مدرسة، مدرستين إعداديتين ومدرستين رشديتين فقط. وهو نفس ما نلاحظه على المدارس الأجنبية التي بلغ عددها في لواء بيت المقدس 74 مدرسة، منها مدرسة واحدة فقط إعدادية للاتين، والبقية كلها ابتدائية (أي 98%).

غير أن إحصائيات السالنامات في فترة لاحقة (سنة 1329هـ- 1913م مثلا) تبيّن وجود مدارس متقدّمة (إعدادية وعالية)، أسّسها اليهود وهي: إعدادية جمنازيا عبريت في مدينة يافا، تأسست سنة 1908م، إعدادية بيت مدراش طوريم السوخاريم العبرية في مدينة بيت المقدس، تأسست سنة 1913م، ودار بيت مدراش طوريم العبرية لإعداد المعلمين في مدينة بيت المقدس، تأسست سنة 1913م[22].

المدارس الأجنبية في بيت المقدس

وردت المدارس الأجنبية في سالنامة نظارة المعارف مستقلة عن مدارس الطوائف غير المسلمة، غير أن الجدول الإحصائي لهذه المدارس لا يذكر الدول الأجنبية التي أسستها، ويكتفي بذكر أماكن توزع المدارس، أسمائها)، الجماعات التي تنتمي إليها المدرسة، الأشخاص الذين مُنح الترخيص باسمهم، عدد الطلبة، تاريخ الإنشاء وتاريخ الترخيص[23]. غير أننا يمكن أن نستشف بعض الدول المؤسِّسة من أسماء بعض المدارس مثل أليانس اسرائيليت (فرنسا)، اكليريكي (إيطاليا)، ايكول دا كريكولنور ايزرائيليت (فرنسا)، اكول روس (روسيا)، اوسيس قاتولك المان (ألمانيا)، انجيلية (بريطانيا)، هيكلية (ألمانيا). ويشير بيات إلى وجود أقدم دليل إحصائي متعلق بالتعليم في الولايات العثمانية الذي يعود إلى السنة الدراسية 1895- 1896م، جاء فيه وجود 55 مدرسة ابتدائية أجنبية في لواء القدس، سبع منها فقط مرخصة، وتوزعت تبعيتها على الدول التالية: فرنسا (15)، انجلترا (21)، ألمانيا (21)، روسيا (1)، النمسا (3)، أمريكا (3)[24]. وقد ذكرت إحصائيات السالنامة ثلاث جماعات أنشئت لأجلها المدارس الأجنبية، وهي أطفال اليهود واللاتين وأطفال غير مسلمة. ولسنا ندري بالضبط المقصود بـ"أطفال غير مسلمة"؟ فأطفال اليهود واللاتين أيضا غير مسلمين، لكن خُصصت لهم المدارس بشكل بارز ومنفصل عن أطفال بقية الطوائف (الروم والأرمن). أو لنقل إنّ اليهود هم المميزون بهذه المدارس لاستئثارهم بـ 33% منها، في حين لا تتعدى نسبة مدارس اللاتين 5% مثلما يوضّحه الجدول والرسم أدناه.

		اليهود	اللاتين	أطفال غير مسلمين	المجموع
عدد المدارس		24	4	46	74
عدد التلاميذ	ذكور	1242	64	2078	3384
	إناث	439	93	1100	1632
مجموع عدد التلاميذ		1681	157	3178	5016

الجدول 2: عدد المدارس الأجنبية في بيت المقدس (1317هـ).

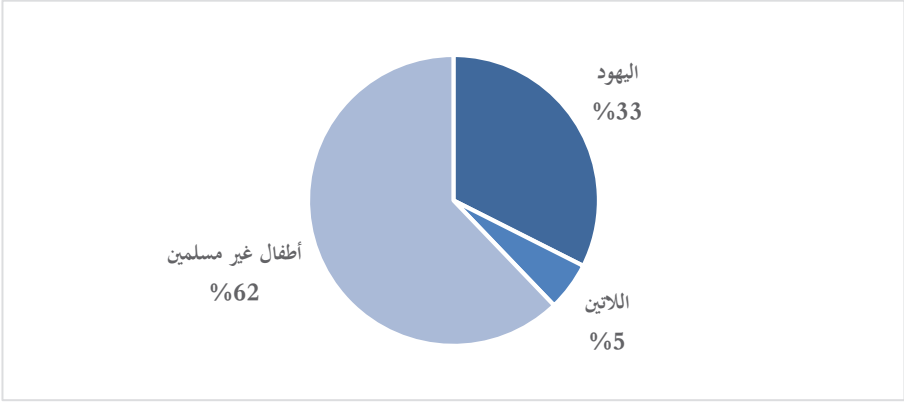

الشكل 4: عدد المدارس الأجنبية المخصصة للطوائف غير المسلمة في لواء القدس (1317هـ – 1899م)

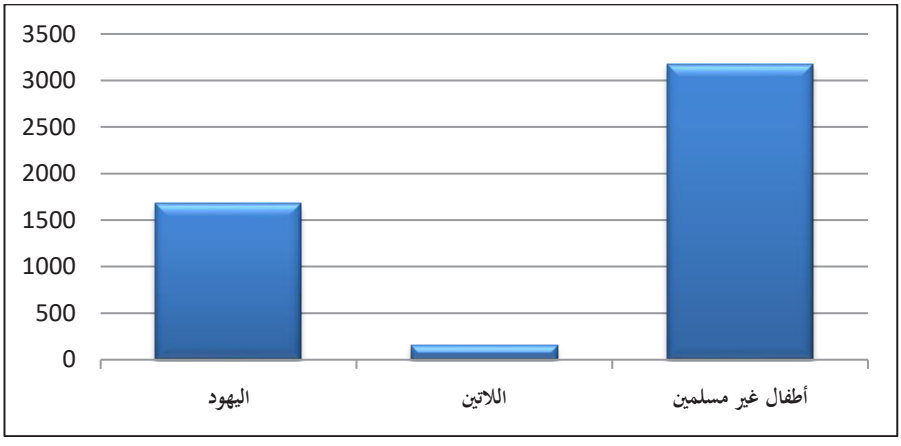

الشكل 5: مجموع التلاميذ في المدارس الأجنبية المخصصة للطوائف غير المسلمة بلواء القدس (1317هـ – 1899م)

إذا أضفنا عدد المدارس الأجنبية وعدد تلاميذها للمدارس التي أقامتها الطوائف غير المسلمة، على أساس اعتبار مدارس "أطفال غير مسلمة" مخصصة للأرمن والروم، يصبح لدينا المجموع كما هو موضّح في الجدول والرسوم البيانية أدناه.

		اليهود	اللاتين	أطفال غير مسلمين	المجموع
عدد المدارس		63	16	72	151
عدد التلاميذ	ذكور	2417	221	3274	5912
	إناث	788	289	1620	2697
مجموع عدد التلاميذ		3205	510	4894	8609

الجدول 3: مجموع التلاميذ ومدارس الطوائف غير المسلمة والأجنبية في بيت المقدس (1317هـ).

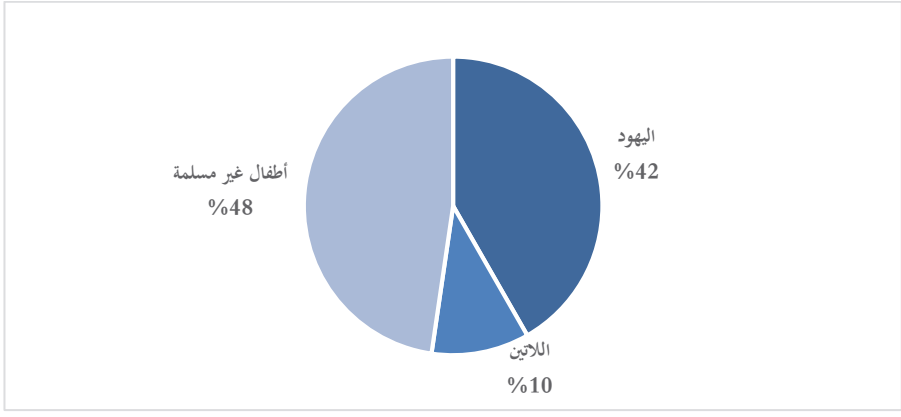

الشكل 6: مجموع مدارس الطوائف والمدارس الأجنبية بلواء القدس (1317هـ – 1899م)

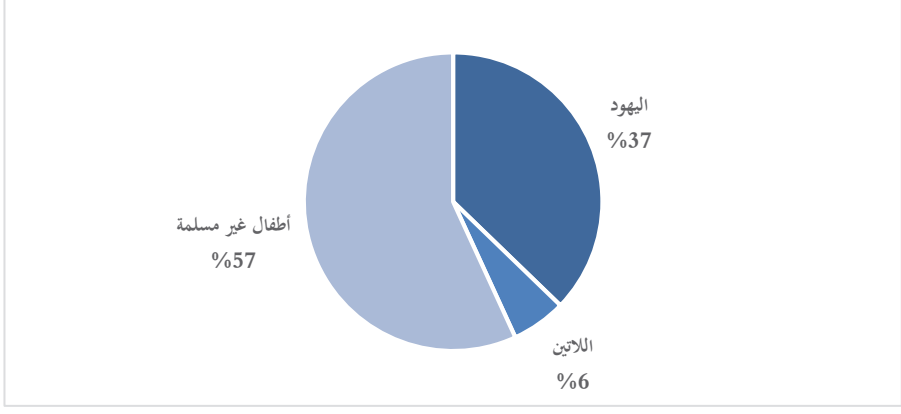

الشكل 7: مجموع عدد تلاميذ مدارس الطوائف والمدارس الأجنبية بلواء القدس

وبغضّ النّظر إن كانت هذه الإحصائيات دقيقة أم مبالغا فيها قليلا، فإن عدد المدارس ومجموع عدد التلاميذ كبير جدا، فـ 8609 تلميذ في المدارس الأجنبية ومدارس الطوائف غير المسلمة عدد ضخم إذا قارناه بعدد الرعايا المسيحيين واليهود الذي لا يتجاوز 15% من إجمالي سكان بيت المقدس. ويستحوذ اليهود على نسبة مهمة من عدد المدارس وعدد المتمدرسين (الرّسم أعلاه)، رغم أن نسبة السّكان اليهود في اللواء لا تتجاوز 4%! وتجدر الإشارة هنا إلى الأرقام التي ذكرها بيات بخصوص عدد المدارس الرسمية بلواء بيت المقدس سنة 1884م، أنها بلغت 159 مدرسة يرتادها 7760 تلميذ وتلميذة، وارتفع عدد هذه المدارس سنة 1895م إلى 259 يرتادها أكثر من 13 ألف تلميذ وتلميذة[25]. هذه الأرقام، حتى وإن كانت تبدو مؤشّرا جيّدا على انتعاش التعليم الرسمي، إلاّ أنّها لا تدعو للتفاؤل بتفوّقه على التعليم الخاص لدى غير المسلمين، ذلك أنّ المقارنة لا تبدو عادلة هنا، لأنّنا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عدد التلاميذ بالنسبة للعدد الإجمالي للسكان، فـ 13 ألف تلميذ في المدارس الرسمية المأخوذ من 85% من عدد المسلمين في اللواء، يبدو ضئيلا جدا إذا قارناه بعدد 8 آلاف تلميذ في المدارس غير المسلمة المأخوذ من 15% فقط من عدد المسيحيين واليهود في اللواء[26]! يعني من الطبيعي أن يكون عدد المدارس الرسمية وعدد تلاميذها أكبر لأنّها مفتوحة لكلّ سكان اللواء سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لكن من غير الطبيعي أن تكون مدارس غير المسلمين بهذا العدد الضخم رغم أن أصحابها أقلية في اللواء!

ولا نذهب بعيدا، فإحصائيات **سالنامة نظارة المعارف** حول المدارس المسلمة "الخاصة" في بيت المقدس لا مجال لمقارنتها مع الإحصائيات عن المدارس الخاصة عند غير المسلمين، ذلك أنه في الفترة نفسها التي ندرسها هنا، بلغ عدد المدارس المسلمة الخاصة 19 مدرسة بـ 182 تلميذ فقط[27]، أي ما يساوي أقلّ من ربع عدد مدارس غير المسلمين، وهذا يطرح إشكالا آخر عن مدى قدرة المدارس الإسلامية على منافسة مدارس الطوائف غير المسلمة في بيت المقدس؟ بل مدى اهتمام المسلمين بالاستثمار في التعليم لمواجهة اكتساح المسيحيين واليهود في هذا المجال؟

وهناك احتمال أن يكون بعض مرتادي مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية من أطفال المسلمين، وبالتالي أسهموا في رفع عدد التلاميذ في هذه المدارس! ففي سنة 1891م رفع متصرف لواء بيت المقدس إلى مركز الدولة تقريرا سلبيا عن وضعية التعليم الرّسمي في لواء بيت المقدس، ذكر فيه أن المدارس الابتدائية في المدن غير منتظمة والاستفادة منها ضئيلة جدّا، والقرى يندر فيها وجود المدارس، وما يكتسبه التلاميذ في المدارس الابتدائية دون المستوى. وأضاف أن أتباع الديانات الأخرى أسّسوا في مركز اللواء وأقضيته وقراه عددا كبيرا من المدارس، وأنّ توجّه أطفال المسلمين إلى المدارس الأجنبية له تبعات سياسية ودينية يتوجب الحذر منها[28].

ونستفيد من هذا الكلام مدى خطورة انتشار مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية على حساب المدارس الرسمية والإسلامية الخاصة، وعدم قدرة هذه الأخيرة على المنافسة واستقطاب التلاميذ إليها مثل المدارس الأخرى! فقد كان بعض رعايا الدولة من المسلمين يصرّون على إكمال أبنائهم التحصيل الدراسي في المدارس الأجنبية[29]، وكان البعض يسجلون أبناءهم سرا فيها رغم اجتهاد الحكومة في منع ذلك والتحذير منه[30]؛ وقد أشار هاملتون إلى خطورة ذلك بالقول إنّه *"يستحيل على المسلم الذي يتلقى تعليما علمانيا على النمط الغربي أن يتجنب أثر الفكر الغربي الذي يحضّ المسلمين نوعا ما على اعتبار الأشياء من وجهتين اثنتين..."* [31]، وعلى المدى البعيد سيكون زرع الفكر الغربي في بلاد المسلمين هو أحد وسائل بسط النفوذ ومدّ أذرع التحكم في السياسة والاقتصاد والمجتمع بواسطة النخب المحلية، عن طريق إيجاد وظائف لهم في المؤسسات التي يمتلكها الأجانب أو يؤثرون فيها!

التوزيع الجغرافي لمدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية بلواء بيت المقدس

حسب الجدول الإحصائي لسالنامة نظارة المعارف لسنة 1317هـ، فقد توزعت مدارس الطوائف والمدارس الأجنبية على 17 موقعا ما بين أقضية وقصبات وقرى، وهي كالتالي: قضاء القدس والقرى التابعة له: عين كارم، عين عريك، بيرزين (كذا)، قصبة بيت لحم، بيت جالا، بيت رحور (كذا)، ارام اه (كذا)، عابود، جفنا، طيبة، قصبة رمو (كذا)[32]، قضاء الخليل، قضاء غزة، قضاء يافا والقريتان التابعتان له: اللدّ والرملة. (انظر الخريطة)

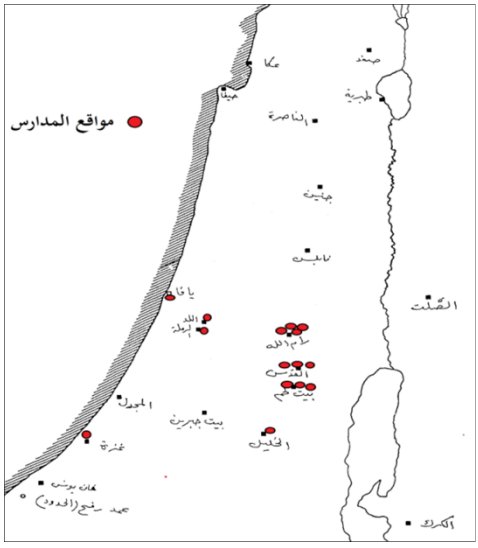

الخريطة رقم 2: توزيع مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الاجنبية لواء بيت المقدس 1317هـ/ 1899م

ويبدو من توزيع هذه المناطق على الخريطة تركّز المدارس في قضاء بيت المقدس والقرى التابعة له (عددها عشر حسب الوثيقة) حيث انفرد القضاء بـ 64 % من حيث عدد المواقع، ثمّ يليه قضاء يافا بـ 17%، ويتأخّر عنهما قضاء الخليل وقضاء غزة (انظر الجدول رقم 4).

الطائفة	القدس	بيت لحم	بيت رحور	قرية بيت جالا	عين عريك	رام اه	بيرزين	جفنا	طيبة	عابود	يافا	الرملة	اللد	غزة
الروم	3	2	2	1	1	1	1	1	1	1	2	1	2	1
اللاتين	/	/	2	2	1	2	2	2	1	/	/	/	/	/
الأرمن	3	1	/	/	/	/	/	/	1	/	1	/	/	/
اليهود	30	/	/	/	/	/	/	/	/	/	9	/	/	/
المجموع	**36**	**3**	**4**	**3**	**2**	**3**	**3**	**3**	**3**	**1**	**12**	**1**	**2**	**1**

الجدول 4: عدد مدارس الطوائف غير المسلمة حسب توزيعها الجغرافي في مدن اللواء وقراه.

ويبدو من الجدول رقم 4 أن الطوائف غير المسلمة تمايزت فيما بينها من حيث توزيع مدارسها على الأقضية والقرى، حيث نجد توزيع المدارس عند طائفة الروم يتّسم بالتوازن والشمولية في معظم الأقضية والقرى باللواء، بينما تركّزت مدارس اللاتين خارج مدينة بيت المقدس في القرى التابعة لها مثل عين عريك، بيت جالا، بيت ساحور، رام الله، بيرزيت، جفنا وطيبة. وتركّزت مدارس الأرمن بشكل محتشم في مدينة بيت المقدس (ثلاث مدارس فقط)، وبيت لحم وطيبة ويافا. وانفرد اليهود بأكبر عدد من المدارس في مدينة بيت المقدس (دون قُراها) ومدينة يافا!

المدينة/ القرية	القدس	قرية عين كارم	قصبة بيت لحم	قرية عابود	قرية بيرزين	بيت جالا	قرية ارام اه	قرية طيبة
عدد المدارس	37	1	4	1	1	3	3	1

المدينة/ القرية	قرية جفنا	قضاء الخليل	قضاء غزة	قضاء يافا	قرية الرملة	اللد	قصبة رمو؟	/
عدد المدارس	1	2	2	10	2	2	2	/

الجدول 5: عدد المدارس الأجنبية حسب توزيعها الجغرافي في مدن وقرى اللواء.

ويلاحظ من الجدول رقم 5 أن عدد المدارس الأجنبية في مدينة بيت المقدس بلغ 37 مدرسة، 19 مدرسة منها خُصصت لأطفال اليهود، أي بنسبة 51% من مجموع المدارس الأجنبية في هذه المدينة. وإذا أضفنا إليها 30 مدرسة التي أنشأها اليهود بأنفسهم في مدينة بيت المقدس يصبح المجموع 49 مدرسة مخصصة لليهود في بيت المقدس وحدها. ولا عجب أن تنتشر المدارس في مدينة بيت المقدس حيث الأماكن المقدّسة ومهبط الديانات والتنوّع الديموغرافي وبؤرة التنافس السياسي والديني الثقافي بين مختلف الطوائف والجماعات وحتى الدول. غير أن المثير للاهتمام هو كثرة المدارس في قضاء يافا الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد قضاء بيت المقدس من حيث عدد مدارس الطوائف والمدارس الأجنبية، ويوجد بها 12 مدرسة (من أصل 22 مدرسة) مخصصة لليهود وحدهم، وهذا مما يستدعي التوقف عنده لاحقا لتفسيره.

وحتى تتضّح الصّورة بشكل أفضل لابدّ من إجراء مقارنة بين عدد مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية الموجودة في لواء بيت المقدس، وفي مدينة بيت المقدس بالذات، مع مثيلاتها في الولايات العربية، وهذا حتى نقف على التنافس الأجنبي في لواء بيت المقدس ومدى التغلغل الأوروبي فيه.

	لواء بيت المقدس	مدينة بيت المقدس	ولاية بيروت	ولاية حلب	ولاية سوريا	ولاية الموصل	ولاية البصرة	ولاية بغداد
مدارس الطوائف	77	36	8	106	5	23	1	6
المدارس الأجنبية	74	37	20	19	13	2	0	2

الجدول 6: مقارنة بين عدد المدارس الأجنبية ومدارس الطوائف في بيت المقدس والولايات العربية.

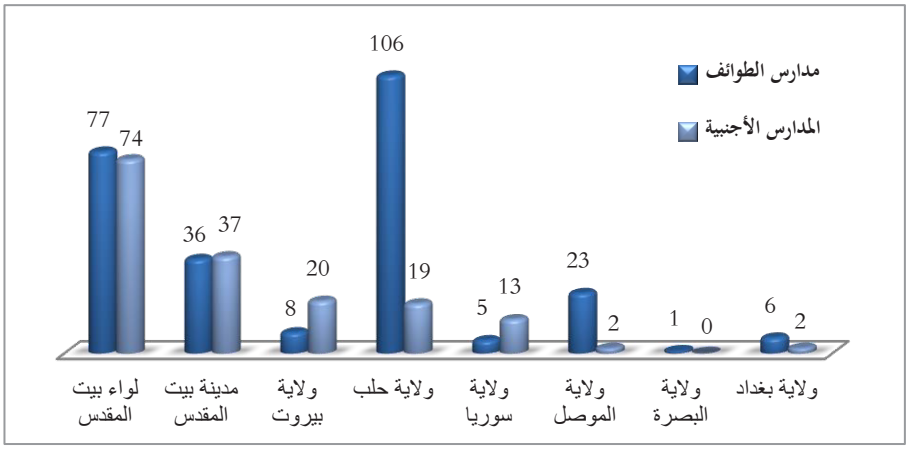

الشكل 9: مقارنة بين عدد مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية في بيت المقدس والولايات العربية (1317هـ – 1899م).

يبدو من الجدول والرّسم البياني أنّ لواء بيت المقدس استأثر بأكبر عدد من المدارس الأجنبية ومدارس الطوائف غير المسلمة، ما عدا ولاية حلب التي تتفوق على بقية الولايات العربية من حيث مدارس غير المسلمين نظرا لخصوصيتها السكّانية وأهميتها البشرية والاقتصادية. وليس لواء بيت المقدس فحسب، بل حتى عاصمة اللواء –مثلما هو موضّح في الشكل أعلاه– تتفوّق على كلّ الولايات العربية من حيث عدد المدارس الأجنبية.

ولم يستأثر لواء بيت المقدس بعدد المدارس فحسب، بل فاق كل الولايات العربية بعدد المطابع أيضا مثلما يوضّحه الجدول والشكل أدناه، في مدينة بيت المقدس وحدها توجد 20 مطبعة، واثنتان في يافا! وكلّ هذه المطابع خاصة، ولا يوجد من بين أصحابها عرب أو مسلمون، بل كلهم يهود أو مسيحيون (15 مطبعة)، وقسم من أصحابها أجانب من روسيا وألمانيا والنمسا وانجلترا (07 مطابع). وكانت الطباعة تتم بجميع اللغات بما فيها اللغتين العربية والتركية[33]. وتبيّن هذه المعطيات مدى اهتمام الدول الأجنبية والطوائف غير المسلمة بنشر مطبوعاتها المتصلة –ولا شك– بأفكارها وأهدافها الثقافية والسياسية، وهو الاهتمام الذي لا نجد له شبيها لدى الجهات الحكومية أو الخواص من المسلمين!

	لواء بيت المقدس	مدينة بيت المقدس	بيروت	حلب	سوريا	الموصل	البصرة	بغداد
عدد المطابع	22	20	18	3	4	2	4	4

الجدول 07: عدد المطابع في بيت المقدس والولايات العربية (1317هـ)[34].

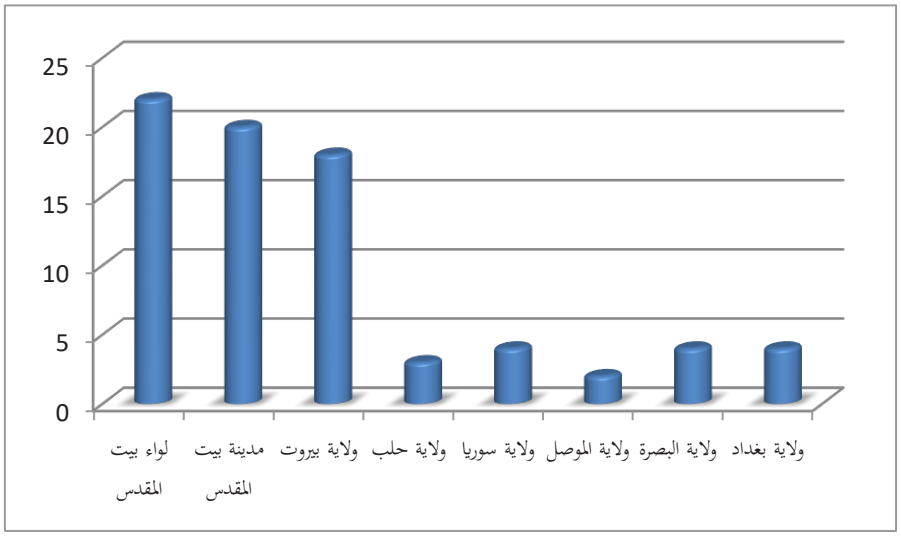

الشكل 10: مقارنة بين عدد المطابع في الولايات العربية (1317هـ).

التعليم الأجنبي في بيت المقدس: نشاط ثقافي أم استثمار سياسي؟

يبدو أن النشاط التعليمي للطوائف غير المسلمة والأجانب تميّز بنشاط زائد في بيت المقدس، ويشير ارتفاع عدد المدارس الخاصّة إلى ضخامة الأموال الموجّهة للاستثمار في هذا المجال، وهو على أيّ حال ليس استثمارًا يدرّ أرباحًا مادية مباشرة، بل "استثمار سياسي" يهدف إلى تحقيق مكاسب على المدى البعيد، ذلك أن الهدف من هذا التعليم هو تكوين جيل موالٍ مثقف بالثقافة الغربية، وجعل المتعلمين في هذه المدارس وكلاء للمصالح الأجنبية في بلدانهم بالنيابة عن الدول الأوربية.

وهناك ملاحظة طاغية فرضت نفسها بقوّة، وهي الظهور المميّز لطائفة اليهود في النشاط التعليمي لمدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية بلواء بيت المقدس، حيث استأثروا بأكبر قدر من المدارس في مدينة بيت المقدس ومدينة يافا. وإذا تساءلنا لماذا بيت المقدس ويافا؟ فالجواب البديهي أن مدينة بيت المقدس هي العاصمة الروحية للإسلام والديانتين المسيحية واليهودية، وهي أيضا إحدى المدن الأربعة المقدّسة لدى اليهود (إضافة إلى الخليل وصفد وطبريا)، غير أننا لا نلمس لهم اهتماما ببقية المدن في مجال التعليم مثلما اهتموا ببيت المقدس، ولعلّ السرّ في ذلك هو تركيزهم على وحدة التاريخ اليهودي وإيمانهم بالعهد القديم، وأنّه لا حياة لهم ولن يرضى عنهم الربّ إلاّ إذا عادوا إلى "أورشليم" وأقاموا دولة داوود وعمّروا الهيكل كما يعتقدون!

أما مدينة يافا، التي تعدّ ثاني أهمّ مركز لانتشار المدارس الأجنبية ومدارس الطوائف غير المسلمة وخاصة اليهودية، فقد كانت الثّغر الوحيد في جنوبي اللّواء، وهي ميناء مدينة بيت المقدس وأهمّ مكان للتجارة الخارجية ولنزول زوار الأماكن المقدّسة والسياح، ونافذة اللواء على العالم الخارجي، ويبدو أن اليهود والأجانب بشكل عام تفطنوا مبكرا لخصائصها الاستراتيجية والاقتصادية والحضارية، فاهتموا بالتغلغل فيها والسيطرة عليها. وجدير بالذكر أن الاتحاد الإسرائيلي العام أسّس سنة 1870 مدرسة زراعية قرب يافا (مكفه اسرائيل Mikveh Israel)[35]، وفي عام 1882 أقام المهاجرون اليهود أوّل مستوطنة يهودية بالقرب من يافا[36]، التي أصبحت فيما بعد نواة الاستيطان في مناطق أخرى.

هذه المعطيات تبيّن لنا أن نشر المدارس اليهودية في المناطق المذكورة لم يكن عبثا، بل يبدو أنه مخططٌ له من أجل جذب السكان والمهاجرين اليهود إليها وتكثير عددهم فيها ليزاحموا به أعداد المسيحيين والمسلمين المستقرين هناك. ليس هذا فحسب، بل العمل على تكوين مثقفين من نوع جديد تتجاوز معارفهم الحدود التقليدية، ويمكنهم التعامل بمرونة وكفاءة مع التطورات العلمية والتكنولوجية الحاصلة في أوروبا، مما يفتح لهم أبواب الوظائف العليا على مصراعيها، ويفرضون أنفسهم على المراكز الحسّاسة في الدولة، ويمكنهم الإسهام في النهوض والارتقاء بالزراعة والصناعة والتجارة في بلدهم.

وجدير بالذكر أن المدارس الأجنبية ومدارس الطوائف غير المسلمة لم تتبنّ المناهج المعتمدة في المدارس الرسمية العثمانية، بل استخدمت المناهج والكتب المقررة في الدول الغربية[37]، كما أنّ الدولة العثمانية سمحت لهذه المدارس باستخدام اللغة التي تختارها الطوائف في تدريس مواد الحساب والجغرافيا والتاريخ والعلوم، مع إلزامية تدريس اللغة الرسمية (التركية)[38]، ولا يخفى ما لهذا الجانب من أخطار على وحدة الدولة وأمنها، فتدريس المناهج الغربية يفتح الباب للأفكار الهدامة بالتغلغل للأمة، والتعليم بلغات مختلفة ومناهج متعددة في دولة واحدة لا يؤثّر فقط في نوعية الفئة المثقفة التي ستتخرج من هذه المدارس، بل يؤثّر في وحدتها أيضا!

لاحظ حوراني أن تعدد المرجعيات التي أنشئت وفقها المدارس أثناء هذه الفترة، "قد أثّر سلبا على إمكانية خلق أرضية موحدة للأمة ككل"[39]، وهذا الكلام ينطبق على الرعايا العثمانيين المتخرجين من هذه المدارس ككل، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهودا، ففي النهاية سيخلق التعليم المختلف فسيفساء من الهويات والثقافات والانتماءات والولاءات، وسيؤدي ذلك إلى اهتزاز الشعور بالوطن الواحد وتعدد الرؤى تجاه القضايا التي تحدد مصير الأمة؛ ولعلّ الأصوات التي خرجت تنادي بفكرة القومية العربية وتشجع على انفصال العرب من جسد الدولة العثمانية[40] تدخل ضمن هذا الإطار، ذلك أن هذه الحركة المناوئة للعثمانيين وما صحبها من دعم غربي، لم تؤدّ في النهاية إلى فصل المناطق العربية الواحدة عن الدولة العثمانية فحسب، بل أدّت إلى تجزئة هذه المناطق واحتلالها من طرف القوتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا، وزرع الكيان الصهيوني في قلب الأمة العربية بمقتضى وعد بلفور المشؤوم[41].

الخاتمة

وفي الختام يمكن القول إن الحراك السياسي في الدولة العثمانية الذي تقمّص روح "التنظيمات" واتجه حثيثا نحو التحديث والعصرنة بعد حرب القرم (1856)، قد ألقى بظلاله الثقيلة على واقع التعليم أيضا، ذلك أن خطّ الإصلاحات "التنظيمات" الذي انتهجته الإدارة العثمانية في بدايات القرن التاسع عشر قد فتح الباب على مصراعيه أمام التغلغل الأوروبي الاقتصادي والسياسي والثقافي على حد سواء. وفي هذا البحث تم تسليط الضوء على جزئية صغيرة وخطيرة في المشهد الثقافي العثماني بلواء بيت المقدس، ألا وهي انتشار التعليم في المدارس الملية والأجنبية سنة 1899م.

ويبدو من البحث أن التنافس الأجنبي على بيت المقدس قد أخذ شكلا جديا في أواخر القرن التاسع عشر، استُخدِمت فيه المدارس كأحد الأدوات الأكثر ضمانا والأقلّ تكلفة لاستقطاب الأتباع وتأطير النخب بما يتناسب مع مخططات المرحلة اللاحقة. ومن إحصائيات **سالنامة نظارة المعارف العثمانية** التي تم الاعتماد عليها، ظهر جليا كيف انفردت طائفة اليهود بأكبر عدد من المدارس في لواء

بيت المقدس، متفوقة بذلك على بقية الطوائف الأخرى (الأرمن، اللاتين والروم)، وكيف أن نسبة التلاميذ بالمقارنة مع عدد التلاميذ لدى الطوائف الأخرى كانت كبيرة جدا، ووصلت إلى 42% من العدد الإجمالي، رغم كون طائفة اليهود أقلية في اللواء (لا تتجاوز 4% !).

وبدت لنا المدارس الأجنبية التي ترعاها الإرساليات التبشيرية والقنصليات الأوروبية جزءًا متمما للمشهد السابق، إذ خصصت ما يقارب 33% من مدارسها لأطفال اليهود الذين بلغت نسبتهم في المدارس الأجنبية حوالي 37% من المجموع العام للمتمدرسين في هذه المدارس حسب إحصائيات السالنامة. فهل من الصدف الموافقة للأقدار أن يحظى اليهود وأطفالهم بكل هذا الاهتمام في التعليم؟ وبتتبع التوزيع الجغرافي للمدارس الملية والأجنبية، تفاجئنا الإحصائيات من جديد باستئثار اليهود بأكبر عدد من المدارس في مدينة بيت المقدس بما يساوي 30 مدرسة (من أصل 36 مدرسة)، يُضاف إليها 19 مدرسة أجنبية خُصّصت لليهود (من أصل 37 مدرسة)، ليصبح المجموع 49 مدرسة يهودية في مدينة بيت المقدس وحدها.

وحتى يكتمل المشهد، فقد تمت مقارنة عدد مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية في لواء بيت المقدس بمثيلاتها في بقية الولايات العربية، فكان التفوّق –وبجدارة– للواء بيت المقدس بـ 151 مدرسة. بل تفوق بيت المقدس حتى بعدد المطابع التي كان أصحابها كلهم يهودا أو مسيحيين. ومن هذا العرض، يتبيّن أنّ مدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية في لواء بيت المقدس كانت تسير في خطّ واحد من حيث تكثيف النشاط وأسلوب العمل وآلياته ومراكز النشاط والأهداف، مما يعني أن رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين واليهود كان ولاؤهم للدول الغربية أكثر من ولائهم للدولة التي يعيشون في كنفها، والدليل أنّهم رفضوا إلحاق أبنائهم بالمدارس الحكومية العثمانية رغم فتح هذه المدارس أبوابها لهم دون تمييز بينهم وبين المسلمين، وبرّروا ذلك بتعلّم اللغتين الفرنسية والانجليزية في المدارس الأجنبية من أجل استخدامها في المعاملات التجارية، غير أن الهدف الخفيّ كان أبعد من ذلك بكثير، إنّه يتعلّق بما سمّاه أحدهم "الحملة الصليبية السّلمية"[42]، تلك الحملة التي لا تقف عند حدود الأرض أو التاريخ، بل تتجاوزهما لمحاولة طمس وتغيير حضارة بأكملها، وإحلال حضارة أخرى محلّها حتى لو كانت دخيلة عليها!

إنّ الأعداد الهائلة للمدارس والتلاميذ في المدارس المليّة والأجنبية، ونوعيّة البرامج التي تدرّسها والأفكار التي تقوم بغرسها في عقول جيل كامل من المتعلّمين، هي –بلا شكّ– تندرج تحت مسمى "حرب الهوية والمصير"، تلك الحرب التي مازالت مستمرة إلى يومنا هذا، وهذا ما يجعلنا نؤيّد فكرة القائل *"إنّ النزاع في فلسطين لم ينشأ في هذا الإقليم نفسه، وإنّما زُرع فيه من الخارج"*[43]. يبقى القول، إنّ

الاعتماد على إحصائيات **سالنامة نظارة المعارف العثمانية** لدراسة النشاط التعليمي لمدارس الطوائف غير المسلمة والمدارس الأجنبية في بيت المقدس، ليس كافيا وحده للإحاطة بكل تفاصيل الموضوع، ولابد من تدعيم البحث بمصادر أخرى سواء العثمانية مثل سالنامات الولايات والتقارير المختلفة المحفوظة في الأرشيف العثماني، أو المصادر الأجنبية كتقارير القناصل وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

الدستور، ترجمة من اللغة التركية/ نوفل أفندي نعمة الله نوفل، مراجعة خليل امتدى الخوري، بيروت، 1303هـ، ج.2.

سالنامة نظارة المعارف العثمانية، العدد 2، سنة 1317هـ.

المراجع

إحسان أوغلو (أكمل الدين) وآخرون، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، جزآن، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا)، اسطنبول، 1999.

أُوزدمير (حسين)، **فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني**، ترجمة: وليد عبد الله القط، دار النيل، القاهرة، 2013.

بيات (فاضل)، "ظاهرة انتشار التعليم في القدس في ضوء التنافس العثماني- الأجنبي"، منشور ضمن **بحوث المؤتمر الدولي حول القدس في العهد العثماني**، دمشق، 22- 25 حزيران 2009، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ارسيكا، اسطنبول 2012.

بيات (فاضل)، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا)، إستانبول، 2013.

بيات (فاضل)، **دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية**، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003.

شولش (الكزاندر)، **تحولات جذرية في فلسطين 1856– 1882**، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ترجمة كامل جميل العسلي، ط.2، عمان- الأردن، 1414هـ- 1993م.

غيب (هاملتون)، **الاتجاهات الحديثة في الإسلام**، ترجمة هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966.

المحافظة (علي)، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798– 1914**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.

محمد عبد اللطيف نعمة الله (إبراهيم)، **الرملة في أواخر العهد العثماني**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2004.

مناع (عادل)، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800– 1918**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط.2، 1995.

مونتران (روبار) وآخرون، **تاريخ الدولة العثمانية**، جزآن، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، ط.1، 1992، ج. 2.

Hourani (Albert), ***Syria and Lebanon, A Political Essay***, Oxford University Press, Greal Britain, 1946.

الملاحق

الملحق 1: مدارس الطوائف غير المسلمة في لواء بيت المقدس سنة 1317هـ/ 1899م.

الطائفة	نوع المدرسة		مكان المدرسة	عدد التلاميذ	
				ذكور	إناث
الروم	1.	إعدادية	القدس	50	-
	2.	رشدية	القدس	140	-
	3.	ابتدائية	القدس	-	100
	4.	//	بيت لحم	220	-
	5.	//	بيت لحم	-	150
	6.	//	بيت رحور (كذا)	95	-
	7.	//	بيت رحور (كذا)	-	50
	8.	//	قرية بيت جالا	165	-
	9.	//	عين عريك	12	-
	10.	//	رام اه (كذا)	103	-
	11.	//	بيرزين	40	-
	12.	//	جفنا	30	-
	13.	//	طيبة	35	-
	14.	//	عابود	30	-
	15.	//	قضاء يافا	60	-
	16.	//	قضاء يافا	-	85
	17.	//	قصبة الرملة	42	-
	18.	//	قصبة اللد	35	-
	19.	//	قصبة اللد	-	60
	20.	//	قضاء غزة	30	-

الطائفة	نوع المدرسة		مكان المدرسة	عدد التلاميذ	
				ذكور	إناث
اللاتين	1.	ابتدائية	قرية بيت جالا	50	-
	2.	//	قرية بيت جالا	-	50
	3.	//	بيت رحور	13	-
	4.	//	بيت رحور	-	16

	.5	//	عين عريك	5	-
	.6	//	قرية رام اه	18	-
	.7	//	قرية رام اه	-	80
	.8	//	قرية جفنا	31	-
	.9	//	قرية جفنا	-	25
	.10	//	قرية بيرزين	15	-
	.11	//	قرية بيرزين	-	25
	.12	//	قرية طيبة	25	-

الطائفة	نوع المدرسة		مكان المدرسة	عدد التلاميذ	
				ذكور	إناث
الأرمن	.1	ابتدائي	قرية طيبة	-	30
	.2	إعدادي	القدس	30	-
	.3	رشدي	القدس	50	-
	.4	ابتدائي	القدس	-	40
	.5	//	قصبة بيت لحم	13	-
	.6	//	قضاء يافه	16	5

الطائفة	نوع المدرسة		مكان المدرسة	عدد التلاميذ	
				ذكور	إناث
اليهود	.1	ابتدائي	القدس	365	-
	.2	//	//	18	-
	.3	//	//	23	-
	.4	//	قضاء يافه	120	-
	.5	//	قضاء يافه	-	120
	.6	//	عيون قارة في يافه	40	-
	.7	//	ملبس في يافه	45	-
	.8	//	قضاء يافه	140	-
	.9	//	عيون قارة في يافه	-	50
	.10	//	ملبس في يافه	-	50
	.11	//	عاقر في يافه	40	-
	.12	//	//	-	30

.13	//	القدس	17	-
.14	//	//	14	-
.15	//	//	40	-
.16	//	//	12	-
.17	//	//	20	-
.18	//	//	25	-
.19	//	//	-	20
.20	//	//	-	15
.21	//	//	-	25
.22	//	//	10	6
.23	//	//	9	-
.24	//	//	-	9
.25	//	//	-	10
.26	//	//	59	-
.27	//	//	5	-
.28	//	//	4	-
.29	//	//	10	-
.30	//	//	10	-
.31	//	//	20	-
.32	//	//	14	-
.33	//	//	11	-
.34	//	//	7	-
.35	//	//	16	-
.36	//	//	18	-
.37	//	//	15	10
.38	//	//	13	4
.39	//	//	35	-

الملحق 2: المدارس الأجنبية في لواء بيت المقدس سنة 1317هـ/ 1899م.

	اسم المدرسة	نوع المدرسة	مكان المدرسة	الطائفة	ذكور	إناث	اسم صاحب الرخصة
.1	اليانس اسرائيليت	ابتدائي	القدس	اليهود	80	–	نسيم نجار
.2	اكليريكي	إعدادي	القدس	رهبان اللاتين	24	–	تيوقلس
.3	سانت آن	ابتدائي	//	أطفال غير مسلمة	115	–	كاردينال لافيجري
.4	دام دوسبون	//	//	//	–	150	سوراليانور
.5	مكتب فرر	//	//	//	120	–	فرر ايفاكير
.6	مكتب تراسلطة	//	//	//	85	–	هانري
.7	راهبات مارطيف	//	//	//	–	75	جرمير
.8	ساميج نيفش	//	//	//	40	–	شمعون حروش
.9	راهبات مهيون	//	قرية عين كارم	//	–	–	اليانور
.10	–	//	قصبة بيت لحم	//	272	–	داليه
.11	دار أيتام الكاثوليك	//	//	//	185	–	رون بللوني
.12	راهبات مارطيف	//	//	//	–	57	انجليكا
.13	ايكول دا كريكولنور ايزرائيليت	//	يافه	أطفال اليهود	100	–	يوسف نيكو
.14	–	//	//	//	45	–	سلتبوري
.15	–	//	//	//	–	150	//
.16	مكتب فرر	//	يافه	أطفال غير مسلمة	220	–	فرر أليانس
.17	–	//	قصبة الرملة	أطفال اللاتين	40	–	سلفتوري
.18	–	//	//	//	–	40	ليوقادي
.19	راهبات ترانسانطه	//	القدس	//	–	53	جوزيفين
.20	درويسن صيون	//	//	أطفال اليهود	110	–	اسحاق براك
.21	اليزه ليمل	//	//	//	80	–	فراييم كون
.22	حاى اولام	//	//	//	50	–	ميلخ برمن
.23	//	//	//	//	60	–	//
.24	تلمود تورات	//	//	//	30	–	حاييم زور نغلد

.25	برى عيص حاييم	//	//	//	100	-	//
.26	-	//	//	//	39	-	موسى فيشل
.27	تورات حاييم	//	//	//	40	-	فيكر اوايزاق
.28	اكول روس	//	//	أطفال غير مسلمة	25	-	اسكندر باپوف
.29	-	//	//	أطفال اليهود	10	-	موسى كوهين
.30	-	//	//	//	9	-	نمومه باكيد
.31	-	//	//	//	13	-	اوشراتيش بارك
.32	-	//	قرية بيت جالا	أطفال غير مسلمة	-	128	راهب انطونين
.33	شيمل اشفيستن	//	القدس	//	52	34	بونادان هوفمن
.34	-	//	-	//	12	16	بارتلس
.35	دار الأيتام	//	//	//	134	7	تيودور شنيلر
.36	تالتيا قومى	//	//	//	-	118	شارلوطه بيلس
.37	-	ابتدائي	القدس	أطفال غير مسلمة	60	-	مناديل ميلر
.38	-	//	//	//	-	30	مناويل ميلر
.39	-	//	قرية بيت جالا	//	120	-	//
.40	-	//	//	//	-	40	//
.41	اوسيس قاتولك المان	//	القدس	//	-	50	شميت يوحنا
.42	هيكلية	//	قضاء يافه	//	33	34	يوحنا فرنك
.43	انجيلية	//	//	//	3	10	يوحنا جورجي كلبوس
.44	هيكلية	//	//	//	27	30	يوحنا دريهر
.45	آلاي جونس وسيل	//	قرية ارام اه	//	-	22	تيموشه بوقم هوشه
.46	//	//	//	//	-	60	//
.47	-	//	قضاء الخليل	أطفال اليهود	16	-	نبحاس مندلزون
.48	ديكل تورات	//	القدس	//	55	-	مندل واليرو
.49	-	//	//	//	75	-	زلن حاييم دوبلين

.50	عيص حاييم	//	//	//	300	–	مندل والبرو
.51	–	//	//	//	–	22	قسيس جون
.52	مهيون	//	//	أطفال غير مسلمة	69	–	قسيس زيلير
.53	–	//	//	//	–	32	فتس جون
.54	–	//	//	//	70	–	قسيس ولسن
.55	–	//	//	//	–	70	مستر سيفج
.56	–	//	قرية جفنا	//	–	–	قسيس دلسن
.57	–	//	قرية طيبة	//	15	–	//
.58	–	//	قرية بيرزين	//	35	–	//
.59	–	//	قرية رام اه	//	30	–	//
.60	–	//	قرية عابود	//	30	–	//
.61	خاتو نار مسيونيك	//	قصبة بيت لحم	//	16	–	ماري چاكميز
.62	–	//	قصبة القدس	أطفال اليهود	–	67	يعقوب اليا
.63	–	//	//	//	18	–	اسرائيل حريم كوهين
.64	اولينادي رويشلد	//	//	//	12	–	فوريه تجار
.65	–	//	قضاء الخليل	//	–	200	فراييم مشايوف
.66	–	//	قضاء غزة	أطفال غير مسلمة	16	–	اسيسوير
.67	اولينادي رويشلد	//	غزة	//	–	2	قسيس وليترس
.68	//	//	قضاء يافا	//	90	–	//
.69	//	//	//	//	130	–	مشروكسراتون
.70	مدرسة صبتيا	//	//	//	–	69	قسيس وليترس
.71	//	//	قصبة اللد	//	30	–	//
.72	//	//	//	//	–	60	//
.73	//	//	قصبة رمو (كذا)	//	44	–	//
.74	//	//	//	//	–	6	//

الهوامش

[1] سالنامة نظارة المعارف العثمانية (سالنامه نظارت معارف عمومية): أصدرتها وزارة المعارف العثمانية سنة 1316هـ/ 1898م، واستمرت بالصدور حتى سنة 1321هـ/ 1903م. "تتضمن عرضا تاريخيا للتعليم في الدولة العثمانية، ونصوص القوانين والقرارات والأنظمة المتعلقة بالتعليم ومفردات المناهج الدراسية وأسماء المعلّمين، وجداول إحصائية للمدارس في كلّ ولاية من الولايات العثمانية". لطفا انظر المزيد في: فاضل بيات، "سالنامة وزارة المعارف العثمانية وأهميتها في دراسة واقع التعليم في البلاد العربية"، منشور ضمن كتاب **بحوث المؤتمر الدولي حول العلم والمعرفة في العالم الإسلامي**، أرسيكا، اسطنبول، 2000، ص. 303 وما بعدها.

[2] **الدستور**، ترجمة من اللغة التركية/ نوفل أفندي نعمة الله نوفل، مراجعة خليل امتدى الخوري، بيروت، 1303هـ، ج.2، ص. 156.

[3] **نفس المصدر**، ص. 174.

[4] لطفا انظر: **سالنامة نظارة المعارف**، العدد 2، سنة 1317هـ، فصل تعليمات مبينة لوظائف مديري المعارف، المادة 26، ص.146.

[5] **نفس المصدر**، المادة 27، ص. 147.

[6] فاضل بيات، **دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية**، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003، ص. 285 وما بعدها.

[7] الأليانس: جمعية ثقافية يهودية تأسست في باريس سنة 1860م، بهدف حماية المصالح اليهودية والتأثير على المجتمع الدولي لتأمين وحدة الثقافة اليهودية وتطوير مدارس الطائفة اليهودية. واهتمت بمساعدة برفع المستوى الثقافي لليهود في أوروبا والدولة العثمانية وإيران وشمال إفريقيا... لطفا انظر المزيد في: فاضل بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي العثماني، دراسة تاريخية إحصائية في ضوء الوثائق العثمانية**، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا)، إستانبول، 2013، صص. 622– 624.

[8] بيات، **دراسات في تاريخ العرب...**، **المرجع السابق**، ص. 289.

[9] بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **المرجع السابق**، المقدمة، ش.

[10] كانت بيت المقدس مقسمة إلى ثلاثة سناجق: سنجق بيت المقدس يشمل الخليل وغزة ويافا. سنجق نابلس يشمل جنين وعجلون والصلت. سنجق عكا يشمل حيفا والناصرة وطبريا وصفد... سنجق بيت المقدس أصبح منذ 1874 مستقلا وتابعا لاسطنبول مباشرة، ونابلس (البلقاء) وعكا كانا تابعين لولاية بيروت.

[11] الكزاندر شولش، **تحولات جذرية في فلسطين 1856– 1882، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي**، ترجمة كامل جميل العسلي، ط.2، عمان– الأردن، 1414هـ– 1993م، صص. 23– 24.

[12] شولش، **المرجع السابق**، ص. 60.

[13] شولش، **نفس المرجع**، ص. 61– 62.

[14] روبار مونتران وآخرون، **تاريخ الدولة العثمانية**، جزآن، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، ط.1، 1992، ج. 2، صص. 133– 135.

[15] **الدستور**، **المصدر السابق**، ص. 174. لطفا انظر: فاضل بيات، "ظاهرة انتشار التعليم في القدس في ضوء التنافس العثماني– الأجنبي"، منشور ضمن **بحوث المؤتمر الدولي حول القدس في العهد العثماني**، دمشق، 22– 25 حزيران 2009، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية أرسيكا، اسطنبول، 2012، ص. 151. وأيضا: نفس المؤلف، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **المرجع السابق**، ص. 618.

[16] أكمل الدين إحسان أوغلو وآخرون، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، جزآن، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسيكا)، اسطنبول، 1999، ج. 2، ص. 527 و544.

[17] بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **المرجع السابق**، ص. 619.

[18] لطفا انظر: الملحق رقم 1.

19 **إحصائيات سالنامة نظارة المعارف**، العدد 2، 1317هـ (1899م)، صص. 1472– 1479.

20 يذكر بيات أن عدد مدارس اليهود في بيت المقدس لم يكن 39 مدرسة فقط، بل 45 مدرسة حسب ما جاء في سالنامة نظارة المعارف 3 لسنة 1318هـ، ويبدو من تاريخ إنشائها أنها كانت موجودة في سنة 1317هـ لكن العدد 2 من السالنامة لم يدرجها ضمن جداوله! لطفا انظر: **دراسات في تاريخ العرب...**، **المرجع السابق**، ص. 291.

21 العدد 2، 1317هـ (1899م)، صص. 1472– 1479.

22 بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **المرجع السابق**، صص. 654– 655.

23 العدد 2، 1317هـ (1899م)، صص. 1478– 1485.

24 "ظاهرة انتشار التعليم في القدس..."، **المرجع السابق**، ص. 152.

25 بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **المرجع السابق**، ص. 168 و171.

26 إحصائيات السكان التي اعتمدنا عليها هنا تعود لسنة 1893م، وهي كالتالي: المسلمون= 213310، الروم= 16706، اليهود= 8110، اللاتين= 6849، الأرمن= 939، البروتستانت= 654، البلغار= 422، السريان= 10. لطفا انظر: حسين أُوزدمير، **فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني**، ترجمة: وليد عبد الله القط، دار النيل، القاهرة، 2013. ص.31. وذكر شولش أنه في بداية الثمانينات من القرن 19م كان عدد سكان لواء بيت المقدس حوالي 470000 نسمة، شكّل اليهود 5 % منهم. **المرجع السابق**، ص. 328.

27 العدد 2، سنة 1317هـ، صص. 1472– 1473.

28 بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **المرجع السابق**، ص. 168– 169. يُذكر هنا أنّ عدد المدارس التي تأسست في لواء بيت المقدس منذ جلوس السلطان عبد الحميد على العرش (1876م) هو كالتالي: مدرسة إعدادية ومدرستان ابتدائيتان في عاصمة اللواء، مدرسة رشدية في خليل الرحمان، 03 مدارس ابتدائية في يافا وغر هاشم) سالنامة **نظارة المعارف العثمانية**، العدد 2، سنة 1317هـ، ص. 1488). والمجموع هو سبع مدارس فقط، وهو عدد قليل بالمقارنة مع احتياجات اللواء أو اكتساح المدارس الأجنبية!

29 السبب الذي تحجج به هؤلاء لإلحاق أبنائهم بالمدارس الملية والأجنبية أنها كانت تعلم اللغات الأجنبية التي تفتح أمام الطلاب آفاقا واسعة سواء في تسهيل التعاملات التجارية مع الأجانب، أو في الحصول على وظائف كمترجمين في القنصليات الأوروبية، أو في إكمال دراستهم بإحدى الدول الأوروبية والحصول على شهادات عليا تضمن لهم الحصول على وظائف محترمة في الإدارة العثمانية.

30 بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **نفس المرجع**، ص. 41.

31 هاملتون غيب (Gibb)، **الاتجاهات الحديثة في الإسلام**، ترجمة هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966، ص. 79.

32 هكذا وردت الأسماء في الوثيقة، ولعلّ المقصود بها قرى: بيرزيت، بيت ساحور، رام الله. لازال التحقيق جاريا في هذه الأسماء.

33 **سالنامة نظارة المعارف العثمانية**، العدد 2 (1317هـ)، صص. 1484– 1487.

34 إحصائيات الولايات العربية مأخوذة من: بيات، **دراسات في تاريخ العرب...**، **المرجع السابق**، صص. 296– 297.

35 شولش، **المرجع السابق**، ص. 92. مدرسة "مكفه اسرائيل" قامت بتأسيسها جمعية الألليانس الإسرائيلية على أرض أميرية قرب قرية يازور (الرملة)، واشتُرط عليها أن تخضع لقوانين الدولة العثمانية ولإشراف نظارة المعارف العمومية، وأن يكون عدد الطلاب فيها ما بين 30 و60، وأعمارهم ما بين 13 و16سنة، ويتاح التعليم فيها لكل الطوائف في الدولة دون تمييز، وأن تكون مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وبالنسبة للمناهج الدراسية هي قسمان (نظري وعملي)، القسم النظري يشتمل على التوراة والتلمود والتاريخ اليهودي، والقسم العلمي يشمل الكيمياء والزراعة والإنتاج النباتي ووقاية النبات وتربية الدواجن. ابراهيم محمد عبد اللطيف نعمة الله، **الرملة في أواخر العهد العثماني**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، نوفمبر 2004، ص. 162.

36 أُوزدمير، **المرجع السابق**، ص. 99.

37 بيات، **المؤسسات التعليمية في المشرق العربي...**، **المرجع السابق**، ص. 676 و678.

38 **نفس المرجع**، ص. 30.

39 Albert Hourani, **Syria and Lebanon, A Political Essay**, Oxford University Press, Greal Britain, 1946, pp.94-95.

40 هناك من يرى أن اليقظة القومية عند العرب بدأت مع بداية النهضة الفكرية، وقد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم إلى التحسس بالشعور القومي وإلى المجاهرة بالحركة القومية، وهؤلاء كانوا من المتخرجين من المدارس والمعاهد التي أنشأتها الإرساليات التبشيرية

والطوائف المختلفة، وعلى يد العرب المسحيين تشكلت أولى الجمعيات السرية العربية التي نددت بالحكم التركي وطالبت باستقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية.. علي المحافظة، **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798– 1914**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص. 130. وعن موضوع استغلال القوى الاستعمارية لحركة القومية العربية في تفتيت المنطقة واحتلالها وزرع الكيان الصهيوني في أرض بيت المقدس هناك دراسة مستقلة في طور الإنجاز.

41 جدير بالذكر هنا أن بعض المتخرجين من المدارس الملّية والأجنبية في بيت المقدس لعبوا دورا في تشجيع الإحتلال البريطاني ودعم الحركة الصهيونية، ونذكر من هؤلاء جورجي حبيب حانيا، الأديب والصحفي الفلسطيني المسيحي، الذي تلقى تعليمه في مدرسة المطران غويات على جبل صهيون، ونشر في الاسكندرية سنة 1918م تقويما أشاد في مقدمته بالاحتلال البريطاني، وأعرب فيه عن "سروره لسقوط القدس في يد اللورد اللنبي، ولسقوط الاستبداد وارتفاع راية السلام والهدوء على يدي الحكومة البريطانية". ومن خريجي المعهد الروسي للمعلمين بالناصرة، كان إيليا زكا (ت. 1926) أحد المقربين إلى اليهود والحركة الصهيونية، نشر مقالات في مدح الاستيطان على صفحات جريدته **النفير** في مقابل المال... لطفا انظر: عادل مناع، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800– 1918**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط.2، 1995، ص. 94 وص. 216.

42 تعني "إعادة استيلاء" المسيحية على "الأرض المقدسة" عن طريق التغلغل الديني والثقافي والخيري، حيث يرى أصحاب هذا الرّأي أنّه "عن طريق التعليم والعون والخدمة والصّبر تدخل الأرض المقدّسة وسكّانها تحت راية المسيح، لا عن طريق القوّة وسفك الدّماء". شولش، **المرجع السابق**، ص. 81.

43 **نفس المرجع**، ص. 59.